

النول العمودي البسيط بالريف الجزائري

ماهيته وأبعاده الرمزية

The Simple Vertical Loom in Rural Algeria: Its Nature and Symbolic Dimensions

كلتوم نوري¹، د/ شريفة طيان²

¹ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، keltoumnouri@gmail.com

² جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، tayenecherifa@gmail.com

تاريخ الاستلام 2024/09/01؛ تاريخ القبول : 2025/05/05 ؛ تاريخ النشر : 2025/07/31

Abstract

This study examines the simple vertical loom from historical and technical perspectives. It traces the origins of this art and provides a comprehensive technical description, emphasising its significance in traditional Algerian textile production. We employed historical, descriptive, and analytical methods to explain the loom's components and interpret its symbolic connotation. The results indicated that the simple vertical loom has preserved its original structure over time, with no significant alterations despite the passage of centuries. Notable features include ribbed decorations, representing one of the earliest known forms of geometric ornamentation in textile production. Looms have played a prominent role in rural areas, serving as the primary means of producing essential bedding and clothing. As a result, it has been instrumental in preserving the traditional weaving craft, a crucial component of the national heritage that merits attention and conservation efforts. Beyond its functional role, the loom is associated with customs and symbolic meanings that reflect the ideas and beliefs prevalent in rural Algerian society.

Keywords: Vertical loom; Traditional Algerian textiles; Weaving craft; Rural heritage; Cultural anthropology; Symbolic connotations.

الملخص

تبحث هذه الدراسة النول العمودي البسيط من ناحيتين، تاريخية وتقنية. فهي تتبع أصول هذا الفن وتقدم وصفاً تقنياً شاملاً له، مع التركيز على أهميته في إنتاج المنسوجات الجزائرية التقليدية. لقد وظفنا المناهج التاريخية والوصفية والتحليلية لشرح مكونات النول وتفسير دلالاته الرمزية.

أظهرت النتائج أن النول العمودي البسيط حافظ على هيكله الأصلي عبر الزمن، دون تعديلات كبيرة، على الرغم من تعاقب القرون. وتعد الزخارف المضلعة من أبرز سماته، وهي تمثل أحد أقدم أشكال الزخرفة الهندسية المعروفة في إنتاج المنسوجات. لقد لعب النول دوراً بارزاً في المناطق الريفية، حيث كان الأداة الرئيسية لإنتاج المفروشات والملابس الأساسية. وبذلك، فقد أسهم بشكل فعال في الحفاظ على حرفة النسيج التقليدية، التي تمثل عنصراً حاسماً من عناصر التراث الوطني الجدير بالاهتمام والحفاظ عليه. وفضلاً عن دوره الوظيفي يرتبط النول بعبادات ومعاني رمزية تعكس الأفكار والمعتقدات السائدة في المجتمع الجزائري الريفي.

الكلمات المفتاحية : النول العمودي؛ النسيج التقليدي

الجزائري؛ حرفة النسيج؛ التراث الريفي؛ الأنثروبولوجيا

الثقافية؛ الدلالات الرمزية

* كلتوم نوري.

مقدمة:

يعتبر النول العمودي أداة هامة من أدوات الصناعة التقليدية كان له دور محوري في استمرار حرفة النسيج اليدوي، فهو جزء هام من الموروث الثقافي المحلي للمجتمع الريفي الجزائري، حيث ساهمت هذه الأداة البسيطة في تصميمها بفعالية في انتاج وتطوير فنون النسيج التقليدي، المزين بالزخارف المتنوعة التي تحمل في طياتها دلالات عميقة تنم عن المهارة والإتقان وتعبر عن مظاهر الحياة المختلفة، وظل على مر العصور رمزا للإبداع الحرفي ومجسدا للمهارات الحرفية الأصيلة المتوارثة عبر الأجيال التي كان للمرأة الدور البارز في العمل على الحفاظ عليها، هذا بالإضافة الى كونه موردا اقتصاديا ومصدرا من مصادر العيش في البيئة الريفية التي تعتمد بصفة كبيرة على بيع وشراء كل أنواع المنسوجات الضرورية.

وعلى الرغم من التحولات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة التي تواجه المجتمع الريفي، يبقى النول العمودي شاهدا حيا على قدرة هذا المجتمع على التكيف والابتكار مع الحفاظ على الهوية الثقافية الأصيلة، الأمر الذي يعكس دوره كعنصر من عناصر التراث المادي وغير المادي على حد سواء.

من هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع لفهم دوره التاريخي والاجتماعي، وحتى الاقتصادي وكذلك التحديات التي تواجه استدامة حرفة النسيج التقليدي في ظل التغيرات المعاصرة. ومن مجمل ما سبق، نطرح الاشكالية الآتية: كيف ساهم النول العمودي البسيط في تشكيل الهوية الثقافية للنسيج التقليدي الجزائري؟ وما هي العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على استمراريته في ظل التحولات الحديثة؟

الفرضيات: - تفترض الدراسة أن النول العمودي البسيط بهيكلة الأصلي الذي لم تظهر عليه تغيرات كبيرة رغم توالي العصور، له ارتباط وثيق بالهوية الوطنية من عادات وتقاليد.

- كما أنه يمثل أداة رئيسية لعبت دورا محوريا في الحفاظ على التراث الثقافي المحلي من خلال تنوع الأنماط والزخارف في النسيج الريفي الجزائري.

- ويعكس انتشار استخدامه الدور الاجتماعي الفعال للمرأة في الانتاج الحرفي.

- هذا بالإضافة الى مساهمته في تحريك عجلة الاقتصاد الريفي من خلال توظيف اليد العاملة في انتاج السجاد التقليدي وتسويقه.

أهداف الدراسة:

- نسعى من خلال هذه الدراسة الى تحقيق فهم أعمق للنول العمودي البسيط كظاهرة ثقافية من خلال تحليل دوره في الحفاظ على التراث الثقافي والهوية المحلية للمجتمع الريفي الجزائري.

- ابراز أهميته كعنصر من عناصر التراث ودوره في تعزيز المهارات الابداعية في حرفة النسيج التقليدي.

- تحديد الأبعاد الاجتماعية المرتبطة باستخدامه في تعزيز العلاقات الاجتماعية مع توضيح مكانة المرأة الفعالة في هذا المجال.

- اضافة الى القاء الضوء على دوره في دعم الاقتصاد المحلي باعتباره مصدر دخل للأسر الريفية، مع رصد للتحويلات والتحديات التي أثرت على استدامة استخدامه في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية الحديثة. وحتى نتمكن من الإلمام بموضوع الدراسة اعتمدنا على المناهج الآتية:

- المنهج التاريخي: لأنه يعد الأداة الأنسب التي تمكنا من معرفة الأصول التاريخية للنول العمودي البسيط، وفهم دوره في الحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع الريفي، اضافة الى أنه يمكننا من معرفة المراحل التاريخية التي انتشر فيها ودراسة العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على بقاءه، أو كانت سببا في تراجع استعماله.

- المنهج الوصفي: الذي يتيح تقديم وصف دقيق ومفصل للنول العمودي البسيط، كما يساعد في تحليل أبعاده المختلفة مثل تصميمه، أساليب تشغيله ودوره الاجتماعي

والاقتصادي، اضافة الى أنه يمكننا من صياغة توصيات للحفاظ عليه لاستدامة حرفة النسيج التقليدي المرتبطة به .

- المنهج التحليلي: يتيح استخدام المنهج التحليلي تفكيك موضوع الدراسة الى عناصره الأساسية، مثل البناء الفيزيائي للنول، ودراسة التقنيات المعتمدة في النسيج التقليدي الجزائري ما يساعد في فهم طريقة العمل به، مع التركيز على ارتباط هذه التقنيات بالهوية الثقافية من خلال دراسة المعاني الرمزية المرتبطة بالنول وبزخارف النسيج الريفي كمظهر من مظاهر الابداع الحرفي، كما يساعد هذا المنهج في تحليل العلاقات بين النول وظواهر أخرى كالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية مثل دور المرأة في الحرف اليدوية والعوامل الاقتصادية التي ساهمت في استمرارية أو تراجع هذه الحرفة، اضافة الى أنه يتيح لنا تحليل التحديات الحديثة التي ترتب عليها تراجع هذه الحرفة.

وتجدر الاشارة الى أنه هناك مجموعة من الدراسات التي سبق وتطرقت الى النول العمودي ولعل أهمها: المقال الذي كتبه Germaine Laoust- Chantreaux « le tissage sur métier de haute lisse à Ait hichem et dans le haute Sèbaou » in Revue Africaine, Alger, 1941.pp78-116 , pp212-229. وهو عبارة عن دراسة لحرفة النسيج اليدوي بمنطقة القبائل الكبرى والتي تطرقت الى النول باعتباره واحدا من الأدوات المستعملة في هذه الحرفة اضافة الى ما ذكرته من أدوات الصنع وتقنيات الزخرفة التي تستعملها المرأة الريفية في عملية النسيج. وكتاب:

Lucien Golvin , les arts populaires en Algérie(les tapis Algériens).t2.Alger, 1953.

والذي يقدم دراسة شاملة عن الحرف التقليدية في الجزائر، تناول في جزئه الثاني التقنيات والمواد المستخدمة في النسيج. إلا أن هذه الدراسات التي سبق وأشرنا اليها لم تفرد النول العمودي الخاص بالمناطق الريفية الجزائرية بالدراسة والتحليل بل اكتفت بالإشارة اليه بصفة عامة ضمن الأدوات الأخرى التي تدخل في صنع النسيج دون التطرق للعديد من التفاصيل، الأمر الذي نحن بصدد العمل عليه من خلال هذه الورقة البحثية.

1.I- تاريخ النول العمودي ووظيفته:

كان في مرحلته البدائية عبارة عن أداة بسيطة تتكون من جذعين مستديرين يوضعان بالتوازي أفقيا، وتكون عملية النسيج عن طريق تقنية الغل والتي تتم بشد خيوط رأسية متوازية بين الجذعين ثم ادخال خيوط عرضية عبرها لكي تتماسك مع الخيوط الرأسية الزوجية، ويوضح (محمد حسين، 1969) أن هذه التقنية من أقدم التقنيات التي عرفت في النسيج وتتم بتمرير الخيط العرضي الأول فوق الخيوط الفردية الرأسية وتحت الخيوط الرأسية الزوجية ويكون الخيط الثاني على العكس من الأول وبهذا يتم الحصول على القطعة المراد نسجها، ومنه انبثق النول العمودي (محمد حسين، 1969) ثم انتشر في أنحاء مختلفة من العالم بما فيها الجزائر التي عرفت استعماله منذ عهود قديمة أين بقي محافظا على شكله الأصلي ولم يعرف تطورا كبيرا (Delaye, 1928)، استعمل في معظم أنحاء البلاد مع تفاوت من منطقة لأخرى فكان يستعمل بنسبة أقل في المدن الساحلية مقارنة بالمناطق الريفية الداخلية والصحراوية، كانت له مكانة هامة في كل البيوت سواء تحت الخيام أو في المنازل والأكواخ (Germaine, 1941) وذلك باعتباره أداة ضرورية لأنها تستعمل في تأمين الحاجة الى اللباس والفرش والأغطية الضرورية لحياة البدو وساكنة الأرياف (البدو هم الذين يعيشون حياة الترحال بحثا عن المراعي لمواشيهم، وسكان الأرياف هم الذين يعيشون حياة الاستقرار في المناطق الواقعة خارج نطاق المدن) (بكاوي، 2013/2014)، ويصطلح على تسميته في الجزائر بأسماء مختلفة على حسب المنطقة أكثرها تداول المنسج، أوزطة والسندوة (شكل 1). وبمقارنة النول العمودي البسيط المستعمل في الجزائر مع أنساق ثقافية مشابهة في مناطق أخرى فإننا نلاحظ عوامل مشتركة عديدة تجمع ما بين تقنياته والتقنيات المستعملة في دول المغرب العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط، أين يشترك في التصميم والاستخدام وحتى في رمزيته الثقافية والاختلاف الموجود هو فيما فرضته البيئة المحلية من المواد الأولية المستخدمة في صنعه وفي بعض طرق النسيج، فقد استعمله قدماء المصريين والإغريق، إذ كانت الشعوب الأخرى تقوم بصناعة النسيج عن طريق دفع خيط اللحم في اتجاه مرتفع

على عكس المصريين الذين كانوا يصنعون الأنسجة في مستوى منخفض، وكذلك اليونانيون الذين استخدموه في صناعة المنسوجات المختلفة، وقد أثبتت النقوش القديمة أن المرأة هي التي كانت تقوم بعملية الغزل والنسيج (Broudy, 1979). وبما أن وظيفة النول العمودي هي النسيج يجدر بنا أن نعرض على تعريف مصطلح النسيج، الذي هو تقاطع خيوط السداة المتوازية والمشدودة ضمن هيكل يتخذ شكلا عموديا والذي يعرف بالنول العمودي، أو أفقيا كما في النول الأفقي مع مجموعة خيوط اللحمية التي تسير باتجاه عرضي فيختفي جزء من خيوط السداة تحت إحدى اللحامات مع ظهور الجزء الآخر في نفس الوقت (Delaye, 1928)، ما يكون منسوجات ذات تركيبات أساسية ومنسوجات ذات تركيبات مشتقة، فالتركيبات النسجية الأساسية هي أبسط أنواع المنسوجات تنقسم بها خيوط السداة إلى نوعين خيوط زوجية وأخرى فردية، فتتم عملية التقاطع بظهور خيوط القسمين أو اختفائها في نفس الوقت أثناء تمرير خيط اللحمية تكون الخيوط الزوجية من الأسفل لتختفي بينما ترتفع الخيوط الفردية وتنفصل عن الزوجية لتبرز من الأعلى (Le Maire & Chaplete, 1917) وعلى الرغم من أن هذه الحرفة تعتبر فنا قائما بذاته إلا أن الكاتب يعتمد الى وصفها بالبساطة والبدائية معتمدا في ذلك على الوصف، وتستعمل هذه الطريقة في صنع النسيج المحفوف أو البساط الخالي من العقد المتمثل أساسا في الأفرشة والأغطية كالخنبل¹ (صورة 1) ومعظم الأثاث الريفية الصوفية مثل البرنوس² (صورة 2)، ويدخل ضمنها نوع آخر نحصل من خلاله على أقمشة مزينة بزخارف ذات أضلاع مائلة بحيث يتم تمرير الخيوط على السطح المراد زخرفته بحيث تكون مائلة تنتج عنها زخارف دقيقة عبارة عن أشكال هندسية كالخطوط المنكسرة والمسننة والمثلثات المتتالية والمربعات والمعينات وأشكال الصليب، يستخدم هذا الأسلوب بكثرة بمناطق الهضاب العليا (Ricard, 1916)، ومن خلال هذا المرجع يبدو على الكاتب الميل لرؤية الفنون والصناعات المحلية من منظور عرقي أو ثقافي متحيز لأنه أجنبي عاجل الظاهرة في فترة الاستعمار من زاوية مختلفة ناتجة عن ثقافته الأوروبية. يعتبر الأسلوب الزخرفي الهندسي من أقدم الأساليب في زخرفة المنسوجات يتميز

بتداخل واختلاف الألوان اضافة الى اختلاف انواع الخيوط وهو نمط زخرفي خاص بالنول العمودي، تنتج هذه الطريقة الفراش الذي يعرف باسم الحولي³(صورة4) والعديد من الثياب النسائية (Delaye, 1928)، وهي تقنية شائعة الاستعمال في الريف الجزائري كونها تنتج الأقمشة البسيطة التي عادة ما يكون نسيجها لين لا يتطلب شدا كبيرا لخيوط السدى، كما ينتج النسيج الوبري ذو العقدة أو السجاد والذي يعرف محليا بالزربية (صورة5) (نوري، 2011/2010) والتي هي عبارة عن بساط له خمل ينتج يدويا لأن العقدة لا يمكن عملها إلا باليد وتمثل السطح الظاهر للسجادة تصنع من خيوط قصيرة وتختلف من حيث طريقة عملها فمنها ما يعقد على زوج من خيوط السدى ومنها ما يعقد على خيط واحد وتكون اللحمية بواقع صف أو صفين أو أكثر بين كل صف من العقد (حامد خليفة، 2007)، أما التركيبات النسجية المشتقة فهي تعطي المنسوجات المركبة من خيوط مختلفة كأن يتم مزج خيوط القطن والحرير والصوف معا كالأقمشة الحريرية المركبة مثل الديباج وأقمشة القطيفة الوبرية (Delaye, 1928) والتي عادة ما تنسج على نوع خاص من الأنوال الأفقية والذي يستعمل في المدن والحوضر.

I.2- مراحل الانشاء وطريقة العمل:

تعمل المرأة على القيام بكل ما يتعلق بالنول العمودي من تحضيرات تسبق انشاءه بتجهيز للمادة الأولية والتي تتمثل أساسا في الخيوط التي تغزلها من الصوف الخام بعد ما تكون قد عملت على تنظيفه ومشطه ثم غزله وحتى صبغه ويكون ذلك خلال فصلي الربيع والصيف، وبحلول فصلي الخريف والشتاء يبدأ موسم النسيج أين تعمل كل أسرة على تأمين حاجاتها من اللباس والفراش وغيرها من الأدوات المنسوجة (نوري، 2011/2010)، وتجدد الإشارة هنا الى أن عملية النسيج في بعض المناطق لا تقتصر على النساء وإنما يكون للرجل دور بارز فيها كوسط وجنوب شرق الجزائر وخاصة المنطقة الممتدة شمالا من برج بوعرييح وسطيف الى سوق أهراس شرقا وإلى غاية وادي سوف بالجنوب الشرقي أين يعرف الرجل

النساج "بالرقام" والذي تكون مهمته تحديد الشكل النهائي للسجادة اضافة الى تصميم الزخارف التي تتبعها المرأة في تزيين نسيجها (حنفي، 2012).

1/ مكوناته: يتكون من عارضتين الأولى في أعلى النول والثانية تكون موازية لها من الجهة السفلية يصطلح على تسميتهما محليا بالخشبة (شكل 2) تثبت العارضة العلوية بواسطة حبل في سقف البيت وتستعمل للفي خيوط السداة ويلف على العارضة السفلية الجزء المنسوج، بهما ثقبين عديدة موزعة على مسافات متقاربة يمرر عبرها الخيط الذي يثبت خيوط السداة من الجهة السفلية، وتكون حافتيهما منحوتتين بما يسمح بمرور عمودين عبرهما لهما دور دعائمي النول كل واحدة منهما ترتكز قائمة على الأرض بارتفاع لا يتجاوز المترين والنصف وهو ارتفاع النول العمودي (Germaine, 1941)، هذا بالإضافة لعمود أسطواني يكون طوله أكبر بقليل من عرض خيوط السداة ويثبت بواسطة قطعتين خشبيتين بجاني النول يلف حوله خيط يشد الخيوط الزوجية للسداة ويفصلها عن الفردية، وثلاث قضبان توضع بين خيوط السداة لكل منها دور محدد (نوري، 2010/2011)، ومن الأدوات الواجب توفرها حتى تتم عملية النسيج أداة جذب والتي يصطلح على تسميتها بالجذاب أو العضاضة مصنوعة من معدن الحديد تأخذ شكل فك بوسطه قطعة خشبية تشد طرفي النسيج حتى يبقى متساوي الحواف بجذبه بواسطة خيط يثبت في نهايتها ويلف حول الدعائمتين العموديتين (شكل 3)، وأداة دق تتخلل خيوط السداة لدق خيوط اللحمية والتي تعرف باسم الخلالة لها شكل مشط ذو أسنان معدنية يتراوح عددها ما بين 16 إلى 20 سن متوسط طول كل منها حوالي 15 سنتيمتر تفصل بينها مسافة نصف سنتيمتر، ذات مقبض خشبي أسطواني الشكل عادة ما تكون بوزن 800 غ إلى 1200 غ (نوري، 2010/2011).

2/ الإنشاء: تشترك ثلاث نسوة في عملية إنشاء النول العمودي والتي تكون خارج البيت، بحيث تبدأ بتثبيت وتدين متقابلين في الأرض تفصلهما مسافة معينة يتحدد بها طول القطعة المراد نسجها، توضع قصبية بجانب أحدهما على بعد بضعة سنتيمترات لتثبيت خيوط السداة على العارضة السفلية خلال مرحلة التثبيت، ثم تجلس عند كل وتد امرأة تعمل على ذلك بينما تقوم المرأة الثالثة بلف الخيوط حول الوددين بالتناوب، ويتم ذلك بفصل كل خيطين

عن بعضهما وتثبيتهما حول الوند بواسطة جديلة من الخيوط الصوفية التي تكون أكثر سمكا من خيوط السداة وبلون مختلف وبذلك تترتب زوجيا على مسافات متساوية والتي تكون فيما بعد قاعدة النسيج التي توضع أولى خيوط اللحمية فوقها (نوري، 2010/2011).

3/ التثبيت: يحمل هيكل النول ليثبت داخل البيت بالمكان الأكثر إضاءة بمحاذاة الجدار المقابل للمدخل تفصله عنه مسافة تقدر بحوالي خمسون سنتيمتر وهو مكان جلوس المرأة التي تقوم بعملية النسيج (Germaine, 1941).

4/ مرحلة النسيج: تبدأ المرأة الناسجة بتمرير خيط اللحمية مابين خيوط السداة ثم تدكها بواسطة الخلالة من اليمين الى اليسار ثم تعكس الاتجاه بطريقة منتظمة وهي عملية بسيطة بحيث تغطي خيوط السداة كليا من البداية إلى النهاية بواسطة المرور المنتظم لخيوط اللحمية من الحافة اليسرى إلى الحافة اليمنى ثم إعادة تمريره مرة أخرى بالاتجاه المعاكس من اليمين إلى اليسار، وتكون الخيوط المستعملة كلها من الصوف يتباين سمكها حسب القطعة المراد نسجها (Delaye, 1928)، تنتج هذه الطريقة النسيج المحفوف البسيط، أما النسيج المعقود فيتم بوضع عدد محدد من خيوط اللحمية وبعد دكه جيدا يتم لف الخيط المجهز للعقد والذي يكون بألوان مختلفة حسب الزخرفة المراد تنفيذها وذلك بعقده حول خيوط السداة بشكل زوجي وهكذا دواليك حتى ينتهي الخط الذي يغطي بنفس العدد من خيوط اللحمية وتتكرر العملية إلى أن يتم النسيج المطلوب.

I.3- النول كممارسة ثقافية ذات علاقة بالبنية الاجتماعية والواقع الاقتصادي :

1- النول العمودي كممارسة ثقافية: يعتبر من أبرز الممارسات الثقافية التي لا تزال تحافظ على حضورها في المجتمع الريفي الجزائري ولاسيما بين أوساط النساء الريفيات، فهي لا تختزل في بعدها التقني أو الجمالي فحسب، بل تمثل كذلك نسقا رمزيا وثقافيا معقدا يعكس التفاعلات العميقة بين الفرد والمجتمع، وبين الاقتصاد والثقافة، ويعتبر رمزا للهوية الوطنية التي تنعكس على حرفة النسيج ذو الزخارف المتعددة الأنماط والغنية بالرموز المحلية، وهي تصنف في إطار التراث الثقافي الغير مادي الذي يشمل مجموعة الممارسات والتصورات وأشكال

التعبير والمهارات وما يرتبط بها من أدوات وأماكن ثقافية تبدع فيها الجماعات بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلها مع طبيعتها وتاريخها (فجائية ومناصرة، 2016) إنّ هذه الحرفة التقليدية تُشكل نصًّا ثقافيًّا يمكن تأويله من خلال مقاربات اجتماعية وأنثروبولوجية تضع الفعل الإنساني ضمن سياق المعنى والبنية وتحليل ظاهرة النول العمودي، نعتمد على المدخل الرمزي الثقافي (لكليفورد غيرتز) الذي يرى أنّ الثقافة نسق من المعاني التي يمنحها الناس لأفعالهم، والنول العمودي ليس مجرد أداة، بل نظام رمزي يُعبّر عن الهوية والانتماء والذاكرة الجمعية وفي هذا الإطار يقول غيرتز: "الثقافة ليست مجموعة من السلوكيات أو العادات بل هي نسق من الرموز التي تمنح السلوك الإنساني معناه" (Clifford, 1973) ويضيف في نفس السياق: "التحليل الثقافي ليس بحثًا عن قوانين، بل هو بحث عن المعاني" وهذا ما يجعل من النسيج التقليدي نصًّا ثقافيًّا يمكن تأويله ضمن سياقه المحلي.

2- علاقة النول العمودي بالبنية الاجتماعية:

يعتمد انتاج النسيج التقليدي بواسطة النول العمودي بشكل أساسي على نقل المهارات من جيل إلى جيل يتعدى كونه نشاطًا اقتصاديًا بحثًا، فهو يُعزز من التواصل الاجتماعي ويشكل رابطًا قويًّا بين أفراد المجتمع من خلال وراثة المعرفة والخبرة في صناعة النسيج، ويمنح للمرأة التي تتحمل أعباء القيام بهذا العمل دورًا فاعلاً داخل الأسرة والمجتمع، ففي كل بيت وتحت كل خيمة تعكف النساء على تلقين الفتيات أصول الحرفة من تحضير الصوف بفرزها وغسلها وتجفيفها ثم غزلها وصبغها ان لزم الأمر، ثم يعملن على نسجها بواسطة النول العمودي (حنفي، 2012)، وبهذا حافظت الحرفة على طرق صناعتها الأصيلة مع اضافة لمسة جديدة عليها من فترة إلى أخرى. كما له دور في بناء شبكات اجتماعية بين الحرفيين الذين يتواصلون فيما بينهم لتبادل الخبرات.

3- البعد الاقتصادي للنول العمودي:

لم يعد التراث يقتصر على دوره السلبي المتمثل في الحفاظ على الماضي فقط، وإنما أصبحت لديه تحديات جديدة تتمثل في توفير الأدوات وأطر العمل المساعدة في تشكيل تنمية

مجموعات الغد (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2016) لذلك أصبح للنول العمودي بعد اقتصادي هام كونه الأداة الأساسية في إنتاج النسيج في الريف الجزائري فبواسطته يتم تأمين اللباس والفراش وبعض قطع الأثاث الضرورية في الحياة اليومية لسكانه الأرياف، وبالتالي فإن له دور في تدعيم الاقتصاد المحلي لأنه يؤمن مصدر دخل اضافي للأسر التي تعمل على إنتاج النسيج اليدوي التقليدي وتلجأ الى بيع ما يزيد عن حاجتها، وبذلك تكون مساهمته بارزة في تعزيز استقلالية الأسر اقتصاديا، وكنيجة لعملية البيع والشراء لمنتجات النسيج التقليدي المختلفة فإن حركية التجارة الداخلية تنشط، وكمثال على هذا قلعة بني راشد بولاية غليزان والتي هي من المناطق الرائدة في إنتاج النسيج التقليدي وقد عملت السلطات على تدعيم هذا القطاع بفتح باب التكوين في الحرفة، كما سعت لإعادة بعثها من خلال فتح وحدات الإنتاج بتدريب الفتيات على يد قدماء الحرفيات وبتأطير تركي لإضافة اللمسة العصرية التي تتماشى مع متطلبات السوق (بلفوضيل.صفاح، 2022)، إضافة الى أن الحرف اليدوية المرتبطة بالنول العمودي تعتبر عامل جذب للسياح المهتمين بالتراث الثقافي وبالتالي فهو يساهم في استدامة المهارات الحرفية التقليدية، التي تعتبر مصدر للدخل وعامل من عوامل خلق فرص العمل في المناطق الريفية. إلا أن هذا المجال يواجه تحديات كبيرة في وقتنا الراهن بسبب التغيرات التي طرأت على المجتمع فلم تعد الحرفة التقليدية تستهوي فئة الشباب لأنها تتطلب وقتا طويلا للتعلم وجهدا كبيرا في العمل لاعتمادها على أدوات بدائية بسيطة، ما أدى الى نقص اليد العاملة وبالتالي الى نقص المادة الأولية المنتجة محليا الأمر الذي أدى الى استيرادها وكنيجة لذلك ارتفاع كلفة الإنتاج، كلها عوامل ساهمت في ارتفاع ثمن المنتج المحلي التقليدي وبالتالي ضعف الاقبال عليه خاصة وأن المنافسة كبيرة من طرف المنتجات الحديثة، الأمر الذي أدى الى تراجع استعمال منتجات الحرف التقليدية في ظل عمليات التحديث والعولمة (عماري ووناسي، 2022).

وعلى الرغم من كل ما تفرضه الحداثة والتغيرات الاقتصادية، فإن النول العمودي في الجزائر ما زال يقاوم، بفضل ارتباطه بالهوية، ودور بعض المبادرات الثقافية. لكنه بحاجة إلى دعم مؤسسي أكثر جدية، توثيق أكاديمي، وبرامج تكوين تستهدف الشباب.

5.I- دلالاته وأبعاده الرمزية:

إن روح الجماعة لدى شعب من الشعوب هي الجو العام والخاصية التي تطبع حياة الناس، وهي أسلوب هذا الشعب فيما يتعلق بالأخلاق والذوق الجمالي والمزاج العام بل هي موقفهم الأساسي تجاه أنفسهم وتجاه العالم (Clifford, 1973)، وقد منحت العادات والتقاليد المتوارثة في بلادنا لكافة الحرف التي كانت فيما مضى ضرورة في الحياة اليومية أبعادا أخرى تتعدى وظيفتها الأصلية المتمثلة في تحصيل منفعة ما، فلم تعد قيمتها في مجال التراث تقتصر على جانبها المادي الملموس المتمثل في الحفاظ على طريقة صنعها وتقنيات زخرفتها فحسب بل تعدتها إلى أبعد من ذلك وأعمق، إلى المعنى أو الدلالة التي منحتها الجماعة لتلك الحرف وما تظمه من زخارف ذات ألوان وأشكال مختلفة والتي هي نتاج لما يجول في خواطرهم وما توارثوه من معتقدات وما يمارسونه من عادات، فأصبحت بذلك إنتاجا جماعيا غنيا بالرسائل والمفاهيم العميقة (Benfoughal, 1991) التي تستدعي التمعن والاستقراء لأن هته الحرف التقليدية بالنسبة للمختصين في المجال هي بمثابة وثائق تترجم الأفكار والمشاعر والقيم العريقة لصانعيها، يتمكنون من خلالها فهم نمط الحياة الذي كان سائدا، والمستوى الفني الذي بلغه الأسلاف خصوصا وأن هذه الرمزية قد تعدت الزخارف لتشمل التحفة بحد ذاتها ناهيك عن مواد الصناعة وأدواتها، فكان لكل جزئية معنى خفي مرتبط بكيفية وطريقة استعمالها حتى تحقق غاية ما أو تقي من شيء ما.

وبما أن الدراسة خاصة بالنول العمودي الذي هو أداة نسيج فسوف نعمل على القاء الضوء على رمزية النسيج في الموروث الريفي الجزائري اضافة لرمزية النول محور الدراسة، فقد اعتبرت حرفة النسيج وما يتعلق بها من مواد أولية وأدوات الصناعة اضافة الى المنسوج بحد ذاته بمثابة نشاط طقوسي ذو علاقة مع القوى الخفية، فالصوف مركز للقوة التي تعكس دورة الحياة

النقية نظرا للونها الأبيض الناصع اضافة لكونها مباركة لأنها مجلوبة من الغنم التي تعتبر مصدرا للبركة في الرزق (Germaine, 1941) أما النول فكان بالنسبة لهم ذو وجود وكيونة معنوية له تأثير على سكان البيت وحتى على المحيطين بهم من جيران وأقارب، فهناك عادات يجب احترامها وطقوس عليهم الالتزام بها ترتبط بمراحل انشاءه والنسج عليه وحتى أثناء إزالته فيكون تأثيره ايجابيا عليهم، كما يمكن أن يكون له في ذات الوقت تأثير سلبي وخطير إذا ما لم يتم العمل بها، ومن بين تلك المعتقدات الكثيرة نذكر أنه من الضروري اختيار اليوم الذي تتم فيه عملية إنشاء النول فيجب أن يكون أحد الأيام المباركة كالجمعة أو الاثنين أو الخميس، كما تلتزم المرأة بالمواظبة على عملية النسج يوم الجمعة لأنه يوم مبارك يكون العمل فيه ميسرا وسريعا ببركة ذلك اليوم (Germaine, 1941)، وخلال مرحلة الانشاء يمنع الصغار من المرور تحت خيوط السدى وإن حدث وقاموا بذلك فيجب أن يعودوا أدراجهم عبر نفس الخطوات حتى لا يصابوا بمكروه، (نوري، 2010/2011) ولما ينتزع الوتدان الحديديان بعد الانتهاء من مرحلة الانشاء يوضع مكانهما جمر مشتعل ثم يطفأ بالماء طردا للعين الحاسدة، كما تمنع المرأة المتزوجة من الصعود فوق العارضة السفلية لتساعد في عملية التثبيت خلال مرحلة الطي لأن ذلك قد يصيبها بالعقم، وخلال مرحلة النسج فان الأطفال يمنعون من اللعب قرب النول أو المرور ما بين العارضتين لأنهم قد يصابون بالمرض أو بمكروه ما وفق الاعتقاد السائد (Golvin, 1950)، وهناك معتقد سائد لدى سكان قرية آيت هشام وبعض القرى المجاورة لها كآيت ماضي بمنطقة القبائل الكبرى أنه إذا تم النسيج بصوف مصبوغه فإن ذلك يؤدي إلى وفات أحد أفراد العائلة لذلك كانوا يعمدون الى استعمال الخيوط البيضاء فقط ثم يقومون بصبغ القطعة المنسوجة بعدما تكتمل (Germaine, 1941)، كما تعمل المرأة على حماية النول الخاص بها من الحسد باتخاذ العديد من الاجراءات الوقائية كأن تضع فوقه من جهة اليسار غصنا من الشوك أو قرنا من الفلفل الحار والجاف (نوري، 2010/2011).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العمل بهذه الطقوس والمعتقدات يختلف من منطقة إلى أخرى ومن أسرة لأخرى وقد أخذ في الاندثار كونه لا يتماشى مع تعاليم ديننا الحنيف وإنما كان كنتيجة حتمية للامية التي كانت متفشية في أرياف البلاد بفعل سياسة التجهيل التي فرضها المستعمر الفرنسي.

II- الخلاصة و النتائج

خلصنا في ختام هذه الورقة البحثية إلى أن النول العمودي البسيط في الريف الجزائري أكثر من مجرد أداة لصناعة الأقمشة الصوفية، فهو رمز حي للتراث والهوية. يجسد رحلة التوارث الثقافي والمهني، حيث تتلاقى الحرفية التقليدية مع القيم الاجتماعية والرمزية التي تميز المجتمعات الريفية. تُعبّر المرأة من خلال استخدامه عن ارتباطها بتاريخها وانتمائها مما يضفي على النسيج أبعاداً جمالية ورمزية تتجاوز الوظيفة العملية. ومن هذا المنطلق، اتضح لنا أن النول العمودي يعتبر شاهداً على قدرة البساطة على سرد قصص الأجيال والحفاظ على روح الثقافة الجزائرية الأصيلة.

ومن بين أهم النتائج التي توصلنا إليها هي أننا تمكنا من إعطاء تعريف شامل ومفصل للنول العمودي وامتداده التاريخي مع التركيز على مجالات استخدامه بالريف الجزائري، كونه من الأدوات الضرورية في صنع واحدة من أهم الحرف التقليدية، فكان له دور بارز في استمرارية النسيج الريفي محافظاً على طابعه الأصيل الذي يعكس الهوية الوطنية بتنوع أنماط منسوجاتها وتشعب زخارفها، وقد استنتجنا أن النول العمودي قد حافظ على طابعه البدائي الأصلي وبقيت طريقة العمل به متداولة كما كانت منذ بداياته الأولى، كما أستعمل في تنفيذ النوع الأقدم من الزخارف المتمثلة في الزخرفة المضلعة التي تنتج عنها زخارف هندسية متنوعة كالخطوط المسننة والمثلثات المتتالية والمعينات والمربعات وغيرها التي تعتبر بمثابة الخاصية الفنية التي تميز النسيج الريفي الجزائري وبصفة خاصة الألبسة النسائية والبسط المحفوفة.

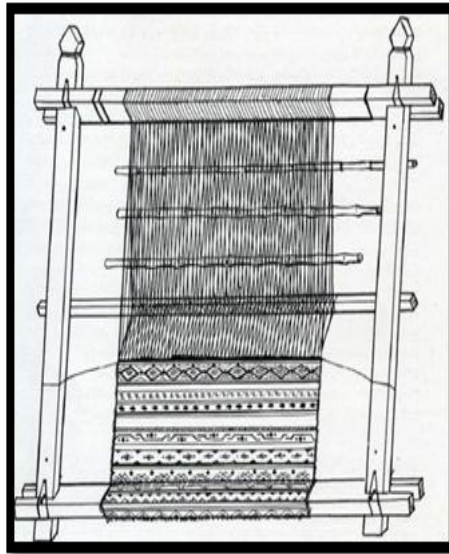
III- التوصيات:

من الأهمية بما كان أن نختم بترائنا ونعمل على التعريف به ويجب أن تتكاتف جهود الجميع لتحقيق هذا الهدف، وعلى السلطات المحلية أن تولي الاهتمام البالغ بمجال الحرف التقليدية فتوفر لها هياكل للتعريف بها كالمتاحف، وتفتح التكوين في هذا المجال حتى يتناقل الأجيال مبادئ الحرفة فلا تندثر بمرور الزمن لأنها تعبر عن تراث وهوية الوطن، كما يمكن أن تستقطب السكان المحليين ليستثمروا في هذا المجال فهي تعتبر موردا اقتصاديا للمناطق الريفية.

- ويبقى مجال البحث مفتوحا في هذا الشأن، لأن موضوع التراث الريفي الجزائري واسع وليس بالإمكان الإلمام به من خلال ورقة بحثية واحدة لذلك فبالإمكان التوسع في الموضوع من خلال التطرق الى باقي الحرف التقليدية الريفية بالدراسة والتحليل كحرفة السلالة والصناعات الخشبية.

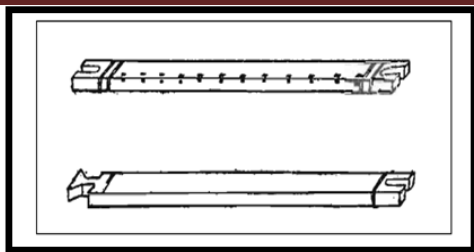
- ملاحق :

الشكل 1: النول العمودي



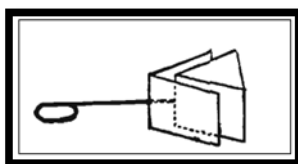
المصدر: Golvin, 1953, p 62

الشكل 2: العارضتين الخشبيتين



المصدر: Germaine, 1941, p 107

الشكل 3: أداة الجذب



المصدر: Germaine, 1941, p 108

صورة 1: الخنبل



المصدر: ملكية خاصة للسيدة عيش مباركة

صورة 2: البرنوس



المصدر: المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، رقم الجرد 08-430-07

صورة 3: الحولي



المصدر: ملكية خاصة للسيدة عيش مباركة

صورة 4: الزربية



المصدر: ملكية خاصة للسيدة عيش مباركة

صورة 4: بساط مزين بالزخارف المضلعة



المصدر: المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، رقم الجرد: 02-29-97

-الشروحات والتعليقات:

1- الحنبل: يستعمل كفراش وغطاء في نفس الوقت، يصنع من الخيوط الصوفية به زخارف على شكل أشرطة متوازية.

2- البرنوس: لباس رجالي عبارة عن قطعة واحدة له قلنسوة وخياطة بسيطة على الصدر.

3- الحولي: فراش من الصوف زخارفه عبارة عن أشكال هندسية مختلفة، ويعرف أيضا باسم الحايك.

- المراجع :

1. بلفوضيل، نصيرة. صفاح، آمال فاطمة الزهراء. (2022). صناعة الزربية التقليدية ودورها في تفعيل التراث الثقافي في الجزائر، دراسة ميدانية بقلعة بني راشد بولاية غليزان، مجلة المعيار، المجلد 13، العدد 01، 232-443. على الخط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/90> (تاريخ الزيارة: 2025/04/06).
2. بكاي، عبد المالك. (2014/2013). الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7هـ-10هـ/م-16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي جامعة الحاج لخضر، باتنة.
3. حامد خليفة، ربيع. (2007) الفنون الإسلامية في العصر العثماني (ط.4). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
4. حنفي عائشة. (2012). القطيف زربية الشرق الجزائري، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 10، العدد 1، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 27-43.
5. فحاريمة، سناء. ومناصرة، نوال. (2016). التراث الثقافي للجزائر من خلال المجلة الافريقية، دراسة تاريخية إحصائية من 1836-1954، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ل.م.د، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
6. محمد حسين، مصطفى. (1969). دراسات في تطور فنون النسيج والطباعة. القاهرة: مصر للطبع والنشر.
7. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. (2016). إدارة التراث الثقافي العالمي، باريس، فرنسا، اليونسكو.
8. نوري، كلتوم. (2010/2011). اللباس الريفي الجزائري، منطقة حمزة نموذجاً دراسة أثرية فنية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
9. Benfoughal Tatiana. (1991). Questions sur l'art populaire, édition Khaoirizm, Alger.
10. Broudy Eric. (1979). The book of looms, Brendeis university press, United States of America.
11. Clifford Geertz. (1973). The Interpretation of Cultures. Basic Books, New York.
12. Delaye André. (1928). Notions pratiques de tissage manuel sur métier à haute lisse, Alger.
13. Germaine Chantreaux. (1941). « le tissage sur métier de haute lisse à Ait hichem et dans le haute Sèbaou », in Revue Africaine, Alger, 78-116 , 212-229.
14. Golvin Lucien. (1953). les arts populaires en Algérie (les tapi Algériens) t2, Alger.
15. Le Maire Gustave & Chaplete Auguste. (1917). Les arts textiles, Paris.
16. Ricard P. (1916). les arts et industries indigènes du nord de l'Afrique, 1arts ruraux, fez .